العربية الكبرى، فتحولت من كفاح ضد الغاصب المستعمر الى فورات متقطعة ضد الصهيونية، وبات كفاح الحركة الوطنية في فلسطين «محصوراً بمقاومة القضية المصطنعة التي نكبنا بها الاستعمار ليلهينا عن أغراضنا المقدسة العليا»[٣١]. وانعكس هذا التوجه على سياسة كل الاحزاب العربية التي ظهرت في فلسطين في النصف الاول من الثلاثينات، باستثناء حزب الدفاع الوطني الى حد ما[٣٢]، حيث صار يُنظر الى القومية العربية باعتبارها رديفاً للوطنية الفلسطينية، كما ورد في أحد المقالات التي نشرتها صحيفة «الجامعة العربية»: «الفكرة الوطنية والعقيدة القومية هي حاجة من الحاجات الضرورية المبرمة، وليست شهوة من الشهوات أو نزعة من النزعات. فبدونها لا يستطيع الشعب العربي في فلسطين ان يجاهد في سبيل استقلاله وحريته، ولا أن يستمر في جهاده الشاق زمناً، متحملاً كل عبء وباذلاً كل ثمن مهما عز وغلا. واذا لم يؤمن بها لا يستطيع ان يتضافر مع اخوانه في الاقطار العربية الاخرى الساعين الى نيل حريتهم وتحقيق أمانيهم وآمالهم في الوحدة العربية الكبرى، التي بدونها يتمزق العرب شذر مذر ويسطو عليهم كل قوي قادر من الشعوب الغربية»[٣٣].

وبوجه عام، بقي هذا التوجه القومي الوحدوي حاضراً، في إطار الفكر السياسي الفلسطيني، طوال عقدي الثلاثينات والاربعينات، يبرز بجلاء في بعض الاحيان، كما حصل بعد اعلان الاضراب العام في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ واندلاع الثورة المسلحة والتضامن العربي الواسع معهما، أو اثر طرح المشاريع الاتحادية العربية، ومنها مشروع الجامعة العربية، في عقد الاربعينات، ويتراجع في أحيان أخرى، وبخاصة حين صارت تطرح، في نهاية عقد الثلاثينات ، مشاريع لضمان استقلال فلسطين في إطار معاهدة تربطها ببريطانيا وتحافظ على مصالح هذه الاخيرة فيها. ولا يخفى بأن الحكومات العربية استغلت ذلك التوجه القومي والوحدوي لتفرض، منذ خريف العام ١٩٣٦، وصايتها على القرار السياسي لقيادة الحركة الوطنية العربية في فلسطين، ولتكريس سياسة مصادرة استقلالية هذه الحركة، وهو الامر الذي دفع عصبة التحرر الوطني، بعد قيامها في العام ١٩٤٣، الى التنديد بالوصاية العربية المفروضة على الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، والتحذير من مخاطر التغاضي عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير نهجه الوطني بنفسه[٣٤].

تحول الوطنية الفلسطينية الى طريق مكافحة الاستعمار

شكّلت هبة البراق نقطة انعطاف حاسمة في مسيرة الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، التي وجدت نفسها، بعد هذه الهبة، تتحول، شيئاً فشيئاً، الى طريق مكافحة الاستعمار. ولعب التيار القومي العربي المتجدد دوراً رئيساً في تعميق مضامين هذا التحول. ففي البيان التأسيسي الذي أصدره حزب الاستقلال، في الثاني من آب (اغسطس) ١٩٣٢، أشير الى عزم فريق الاستقلاليين، الذي عمل مع الجماعات العربية في ميدان القضية العربية الاستقلالية الكبرى، على استئناف جهادهم الوطني من خلال حزب سياسي استقلالي «يكافح الاستعمار وما جره من نكبات، كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا مواربة، ويعمل على نيل حقوق الامة الاستقلالية وانهاضها»[٣٥]. وبعد أسابيع قليلة من صدور هذا البيان، أشار صبحي الخضرا أحد مؤسس هذا الحزب الى ان النظرة الى القضية الفلسطينية، من الوجهة القانونية البسيطة، تبيّن بأن هذه القضية «لا تخرج عن كونها قضية اعتداء وغصب لحرية الامة العربية وحقوقها... فلو كانت في البلاد محكمة تنظر في هذا النوع من الدعاوى السياسية لما صحت الدعوى الا ضد بريطانيا العظمى لا ضد الصهيونية، ذلك لأنها هي التي حالفت العرب على تأييد استقلالهم ثم نكثت بعهودها لهم، وهي اليوم تحتل هذا الجزء من بلادهم وتحكمهم بقوة